

أضرار الذنوب والمعاصي

يقول الإمام ابن القيم مما ينبغي أن يُعلم أن الذنوب والمعاصي تضر ولا بُد، وأن ضررها في القلب كضرر السموم في الأبدان، على اختلاف درجاتها في الضرر، وهل في الدنيا والآخرة شرٌّ وداء إلا سببه الذنوب والمعاصي !!

ويستطرد ويقول فما الذي أخرج الأبوين من الجنة، دار اللذة والنعيم والبهجة والسرور إلى دار الآلام والأحزان والمصائب ؟ ... وما الذي أخرج إبليس من ملكوت السماء، وطرده ولقته، ومسخ ظاهره وباطنه فجعلت صورته أقبح صورة وأشنعها، وباطنه أقبح من صورته وأشنع ؟ ، وبُدِّل بالقرب بُعْدًا، وبالرحمة لعنة، وبالجمال قُبْحًا، وبالجنة نارا تَلْقَى، وبالإيمان كُفْرًا، وبمولاة الولي الحميد أعظم عداوة ومشاقة..

من عقوبات الذنوب تسليط الظالمين على المؤمنين

أورد أثر عن موسى عليه السلام : يارب ، أنت في السماء ، ونحن في الأرض ، فما علامة غضبك من رضاك ؟؟ قال : « إذا استعملت عليكم خياركم فهو علامة رضاي عنكم ، وإذا استعملت عليكم شراركم فهو علامة سخطي عليكم »

كما ورد عن الحسن خيرا جعل أمرهم إلى حمائهم ، وفيئهم عند سُمحائهم، وإذا أراد الله بقوم شرًا جعل أمرهم إلى شفهائهم ، وفيئهم عند بُخلائهم .»

تشجير المحاضرة الثالثة

الذنوب والمعاصي سبب في نزول العقوبات العامة

يقول الإمام ابن القيم أن الذنوب والمعاصي سبب في نزول العقوبات العامة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا ظهرت الفعاعي في أمّتي، عقّمهم الله عز وجلّ بعذاب من عنده »

وقال ابن مسعود رضي الله عنه : إذا ظهر الزنا والربا في قرية عقّمهم بهلاكها وتقول : تنزل العقوبة على الأشكال التالية :-

كما ورد في حديث أن المعصية إذا خفيت فلا تضر إلا صاحبها ، وإذا ظهرت نزل البلاء العام وهذا فارق كبير جداً ومؤثر ؛ لأنه لا يوجد زمان إلا وفيه ذنوب ومعاصي ، ولكنها إذا خفيت فهو دليل على أن أهل الحق أقوياء وأن الحق ظاهر ودليل على أن العاصي لا يستطيع أن يجاهر بالمعصية ، فهنا لا تنزل العقوبة العامة ولكن تنزل العقوبة الخاصة على صاحبها.

من عقوبات الذنوب أنها تجعل في القلب نُكْت سوداء

فنتعلم من ذلك المُسارعة في التوبة وإحداث طاعة بعد الذنب مُباشرة فلا يحدث أثر لهذا الذنب في القلب ولا تنزل العقوبة على صاحبه لأنه تاب ، وإذا أهمل الإنسان الذنب ، فسوف تتراكم في قلبه النُكْت السوداء حتى يصبح يرى الحق باطل والباطل حق ، والسنة بدعة والبدعة سُنة والعياد بالله..

إن المؤمن إذا أذنب ذنباً نُكّته سوداء في قلبه ، فإن تاب ونزع واستغفر ، صقل منها ، وإن زاد زادت حتى يُغْلَف بها قلبه ، فذلك الرّائُ الذي ذكره الله في كتابه : « **كَلَّا بَلْ زَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ** ».

من عقوبات الذنوب إلقاء البُغْض في قلوب العباد

الحواشي المتعلقة بالذنوب

وهذا ينقلنا لنقلة أخرى مختلفة وهي أن الفكرة ليست في الذنب وحده وإنما في الحواشي المتعلقة بالذنوب فيقول >> يا صاحب الذنب لا تأمن سوء عاقبته ، ولما يتبع الذنب أعظم من الذنب ... إذا عملته قَلَّ حياتك ممّن على اليمين وعلى الشمال - وأنت على الذنب - أعظم من الذنب ..

فتجد الصالحين يُبغضونك وقد قال أبو الدرداء : > ليحذر امرؤ أن تلغنه قلوب المؤمنين من حيث لا يشعر > ، قال أتدري ممن هذا ؟؟ > إن العبد يخلو بمعاصي الله فيلقي الله بغضه في قلوب المؤمنين من حيث لا يشعر >

وَضَحْكُكَ وأنت لا تدري ما الله صانع بك أعظم من الذنب ، وفرحك بالذنب إذا ظفرت به أعظم من الذنب وخُزْنِكَ على الذنب إذا فاتك أعظم من الذنب ، وخُوفِكَ من الرّيح إذا حركت ستر بابك وأنت على الذنب ، ولا يضطرب فؤادك من نظر الله إليك أعظم من الذنب إذا عملته..

لذلك نتعلم أن لا ننظر لصغر الذنب ولكن ننظر إلى عظم وقدر من عصيت ، لأن الفكرة ليست في الذنب كونه صغير أو كبير ولكن كما قال الفضيل بن عياض : « بقدر ما يصغر الذنب عندك يكبر عند الله.

وهنا نقول أن الصلاح يلزم إنكار المنكرات ، فبالتالي عندما لا تُنكر فأنت تقع في ذنب السكوت على المنكر وإذا نزلت العقوبة على أهل الذنوب والمعاصي ، فيكون معرض ومهدد، أما عندما يكون الشخص صالح ومُصلح عندما تنزل العقوبة العامة تكون له رحمة وتكفير للذنوب ورفعة للدرجات .